

«أرض مرتفعة» فيلم يصحّ نظرة الأستراليين إلى السكان الأصليين

يقدم المخرج الأسترالي ستيفن ماكسويل جونسون في فيلم «أرض مرتفعة» جزءاً قاتماً من ماضي بلاده، والذي جرى تجاهله على نطاق واسع، والمتأمل في كمّ المذابح التي تعرّض لها السكان الأصليون على يد المستوطنين البيض، والحروب العنصرية التي أثّرت ضدهم.

كانبرا - استغرق المخرج الأسترالي ستيفن ماكسويل جونسون عشرين عاماً حتى يحقق خطته في تقديم فيلم «أرض مرتفعة» (هاي غراوند) الذي استوحى قصته من الأحداث التي احاطت بمذبحة تعرضت لها قبيلة يولنجو، من السكان الأصليين لأستراليا، في عام 1919 وما تلاها من فترات.

قال جونسون «لم أستطع تحقيق ذلك في تسعينات القرن الماضي، لم يكن أحد على استعداد لذلك. لم يكن أحد يريد أن يعرف شيئاً عن المذابح».

وانطلقت العروض العالمية لفيلم «أرض مرتفعة» في أستراليا الأسبوع الجاري، بعد عرضه الأول في مهرجان برلين للسينما العام الماضي. ويركّز الخط الدرامي للفيلم على الأمل الحالية من أجل إحداث تغيير في البلاد.

ويأتي عرض الفيلم في الوقت الذي تجتاح فيه تداعيات أزمة وباء كورونا دور العروض السينمائية في أنحاء العالم، بعدما جرى تأجيل إطلاقه طوال الأشهر الـ12 الماضية.

الفيلم يتناول أعمال العنف والمجازر التي قام بها المستوطنون البيض في حق السكان الأصليين بأستراليا

ويضيف المخرج جونسون، الذي ينحدر من الإقليم الشمالي في أستراليا «كانت رحلة طويلة للغاية».

يتبع «أرض مرتفعة» النمط الغربي في أفلام الإثارة، ويضم، لأول مرة، ممثلين من السكان الأصليين، مع بعض من أشهر الأسماء في السينما الأسترالية.

وتدور أحداث الفيلم في المناطق الشاسعة المفتوحة والوعرية بشمال أستراليا، ويتناول أعمال العنف التي وقعت على مدى 140 عاماً دون تردد.

قالت مجلة «فاريتي» الأميركية المتخصصة في مجال الترفيه، إن هذا كان ملائماً «لقصة مذبحة تكررت مرات عدة قبل أن يجبر البيض في أستراليا على الإقرار بالمالك الأصليين لأراضيهم».

وذكر باحثون من جامعة «نيو كاسل» الأسترالية أن الهجمات التي استهدفت السكان الأصليين بدأت بعد فترة قصيرة من وصول المستوطنين البيض إلى البلاد في عام 1788، حيث شهدت أستراليا حوالي 310 مذبحة على مدار 140 عاماً.

ويشدّد جونسون بالقول «لقد حدثت المذابح، وعلينا أن نعترف بها.. لن نستطيع أن نواصل الطريق حتى نتعامل معها». ومنذ عهد قريب، مدّ العديد من الزعماء السياسيين في أستراليا أيديهم للمصالحة مع مجتمعات السكان الأصليين.

وفي عام 2008، أصدر رئيس الوزراء الأسترالي السابق، كيفن رود، زعيم حزب العمال آنذاك، اعتذاراً رسمياً للسكان الأصليين في البلاد بسبب التحريك القسري لأطفالهم بعيداً عن عائلاتهم

ويقول الممثل جاكوب جونيور ناينجول، الذي يقوم بدور جوتوك في الفيلم «سأكون أنا المستقل»، وينحدر ناينجول من «أرنهيم لاند»، حيث جرى تصوير أجزاء من فيلم «أرض مرتفعة». ويعتقد ناينجول بأن الأمور تغيرت كثيراً عن تلك الأيام الصعبة، حيث يقول «سأكون أنا الفارق».



السكان الأصليون كانوا في أمان قبل وصول المستوطنين البيض



سوسن بدر تجسد دور والدة الملك أحسن في المسلسل الرمضاني

توجه فني لكسر الهيمنة التركية على الدراما التاريخية

«أهل الكهف» و «الملك أحسن» يعيدان مصر إلى الأعمال الملحمية

العثماني، بجانب فيلم سينمائي بعنوان «ميريوكيغالون.. شفق الأتراك»، الذي يدور حول سيطرة السلاجقة على منطقة الأناضول.

وعززت انقرة من سيطرتها على الإنتاج التاريخي بسلسلة تعاون خارجي لزيادة حجم إنتاجها بعيداً عن مشكلات التمويل، فدخلت في شراكة مع باكستان لإنتاج مسلسل «تورك لالا» الذي يشير إلى دور المسلمين في شبه القارة الهندية إبان حروب البلقان. ودخلت في شراكة مع أوزبكستان لإنتاج المسلسل التاريخي «ميندرمان جلال الدين»، ويحكي قصة السلطان جلال الدين خوارزم شاه الذي نجح في هزيمة جنكيز خان.



نجاح مسلسل «ممالك النار» شجع المنتجين المصريين على الاستلهام من التاريخ وتقديمه تلفزيونياً وسينمائياً

وتراهن تركيا على نجاح سلسلة من الأعمال الدرامية التي تم عرضها في السنوات الثلاث الأخيرة، بعد سلسلة من الأعمال المثيرة ضمت صعود الإمبراطوريات «العثمانية» و«الصحوة».. السلاجوق العظيم، و«كورولوس.. عثمان»، و«أرطغرل.. القيامة»، والموسم الخامس من «السلطان عبد الحميد».

وربما يكون النجاح الذي حققته المسلسل العربي «ممالك النار» من إنتاج إماراتي، وتأليف المصري محمد سليمان عبدالمالك، وبطولة خالد النبوي، أحد العناصر المشجعة للمنتجين المصريين، بعدما حقق العمل نجاحاً كبيراً واستطاع مواجهة التزييف التركي للتاريخ الملوكي وإظهار الجازر التي ارتكبوها بحق المصريين أثناء غزؤهم.

الجنوح إلى الدقة الأخرى بنزعها من سياقات التاريخ تاماً وتقديمها كما لو كانت عملاً عصرياً يركز على الحب والعاطفة أكثر من سياقات الزمن وتنازع القوى وصراعاتها.

عين على تركيا

ينطبق الأمر ذاته على الدراما التي تستشهد في الموسم الرمضاني المقبل عرض مسلسل «الملك أحسن» بطولة النجم عمرو يوسف الذي سيقدّم شخصية أحسن طارد الهكسوس من مصر، ويتضمن سادة فربة حول تجهيز الملك الصغير الجيش وصناعة العجلات الحربية المتطورة ومعاركه مع المحتلين حتى طردهم من حدود مصر الشرقية.

ولا يخلو هذا العمل من مغزى سياسي عصري، حيث أتت تطورات الأزمة الليبية إلى تدخل تركيا عسكرياً وإرسال عناصر من جيشها إلى ليبيا، مصحوبة بالآلاف من المرتزقة، ما يمثل تهديداً للأمن القومي لمصر من الناحية الشرقية.

وأكد أندرو محسن أن الأعمال الفرعونية شديدة الندرة في الدراما المصرية ولا تتجاوز مقاطع في المسلسلات، كما حدث في فيلمي «الكنز» و«الأصليين»، لاحتياجها تجهيزات خاصة على مستوى الديكور والتصوير، حتى المشاهد التي تضمنت تلك الحقبة لم تكن على المستوى المطلوب.

وكان ناصر مرتضى، المنتج المشارك في مسلسل «أحمن»، قد أوضح أن العمل يعتبر الأضخم على مستوى الإنتاج بما يضمنه من حروب وخيول وديكورات وملابس، ليكون أول عمل عن الحقبة الفرعونية بشكل حقيقي للجيل الحديث، ويتناول حياة قدامى المصريين بشكل واقعي، مع توظيف أضخم مؤثرات بصرية شهدتها الدراما المصرية.

وسبق لمصر تقديم كم كبير من الأعمال التاريخية الملحمية مع اعتمادها على السر، وغياب المعارك عنها لتقليل التكلفة، حتى أن أحد المخرجين اضطر منذ عدة سنوات إلى اقتطاع لقطات من نسخة قديمة لقصة البطل سبارتاكوس وتوظيفها على أنها انتصار للمسلمين على الفرس.

وتحاول الدراما المصرية أن تجد لها مكاناً وسط غزو الدراما التركية للأعمال ذات الصبغة التاريخية، لكن ربما تحتاج الكثير من الوقت كي تحقق أهدافها.

وتجهز تركيا حالياً مجموعة من الأعمال الدرامية تستهدف بها الجمهور العربي في المقام الأول، أحدها عن يافوز سليم تاسع سلاطين الدولة العثمانية، وآخر عن البحار بربروس قائد الأسطول

تشهد مصر حالياً توجهاً إنتاجياً نحو اقتحام حلبة الأعمال الملحمية من بوابتي السينما والدراما معاً، في محاولة توجي بأن هناك رغبة للتصدي للهيمنة التركية التي تسيطر على تلك النوعية من الأعمال وتوظفها في تمجيد الدولة العثمانية ورموزها.

والتمهيد له قبل طرحه في دور العرض السينمائي.

وقال الناقد الفني أندرو محسن، «العرب»، إن الأعمال التاريخية تحتاج إلى ميزانية ضخمة وسيناريو محكم على مستوى الكتابة وتوحيد نمط اللغة المستخدمة من الدقائق الأولى سواء أكانت عامية أو فصلى أو عامية محافظة، فالجمع بينها جميعاً يخلق نوعاً من التنافر بين الجمهور.

ويحمل فيلم «أهل الكهف» بصمة إخراجية للمخرج عمرو عرفة الذي حشد لتصويره 13 ممثلاً من ذوي الشعبية، مثل خالد النبوي ومحمد ممدوح وغادة عادل وخالد الصاوي وبيومي فؤاد، للتغلب على مشكلة زممنة للأفلام التاريخية مع شبك التذاكر.

وطرح المخرج شريف عرفة منذ عامين فيلم «الكنز 2» الذي يتبع سيرة علي الزبيق البطل الشعبي ومغامراته ويجول في ثلاثة أزمئة متباينة، لكن الفيلم فشل في احتلال مرتبة متقدمة في إيرادات التذاكر.

وللسينما المصرية تاريخ قديم مع الأعمال الملحمية يعود إلى الثلاثينات مع فيلم «شجرة الدر» بطولة يوسف وهبي عام 1935، وتبعه «كليوباترا» بعد ثمانية أعوام للفنان أنور وجدي، ثم «فتح مصر» عام 1948 بطولة يحيى شاهين، وكلها كانت أعمال ضعيفة تم تقديمها بصورة سانحة وعزف عنها الجمهور، والذي لا يجذب لها عندما كان يتم عرضها من وقت إلى آخر.

ومثلت فترة الستينات من القرن الماضي ذروة الإنتاج المصري التاريخي بعدة أفلام كان أهمها «وا إسلاماه» الذي اعتمد على فريق أجنبي في التصوير لإخراج المعارك بشكل أفضل، وتوجت بـ«الناصر صلاح الدين» الذي تكلف إنتاجه 200 ألف جنيه مصري، ولم يحقق نصف المبلغ في شبك التذاكر، فاصيبت الشركة المنتجة له «آسيا فيلم» بالإفلاس.

وعانت الأفلام الملحمية من أفة زممنة تتعلق بتقديمها بطريقتين، إما في الصورة تاريخية صرفة تشبه المحاضرات الجامعية ما يصيب الجمهور بالملل، أو

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

القاهرة - ظلت الأعمال التاريخية منطقة هامشية تتحاشى السينما والدراما في مصر الاقتراب منها لسنوات طويلة، لأنها تحتاج إلى ميزانيات ضخمة وقد يتم تقديمها في النهاية بصورة تعجز عن جذب الجمهور إلى حلبة المشاهدة التي تعج بالأعمال المنافسة.

وتراجعت الأعمال التاريخية في الدراما المصرية في الأونة الأخيرة بعد انسحاب قطاع الإنتاج بالتلفزيون الرسمي من الحلبة وظهور شركات إنتاج تبحث عن الربح السريع، حتى ولو جاء ذلك خالياً من القيمة الفنية، وهو ما منح فرصة للأعمال السورية التاريخية لتتقدم، وبعد خفوتها لأسباب داخلية شغلت بعض الأعمال التركية هذا الفراغ، ضمن توجه عام يعمل على توظيف الدراما في خدمة السياسة.

إعادة هيكلة فنية

تجري حالياً تجهيزات تصوير فيلم «أهل الكهف» المقتبس من مسرحية تحمل العنوان ذاته للكاتب المصري الراحل توفيق الحكيم التي قدمت على خشبة المسرح قبل عقود طويلة، دون أن تحقق جماهيرية كبيرة لامتلأها بالأفكار الفلسفية.

وتدور قصة العمل حول ثلاثة رهبان يقضون ثلاثة قرون في سبات عميق هرباً يدينهم من ظلم الملك دقيانوس، ويستيقظون ليجدوا أنفسهم أمام تغيرات وتطورات العصر، ويدخلون في صراعات قبل أن يعودوا مجدداً إلى كهفهم مفضلين المكوث فيه على الإقامة بالخارج، وهي مستوحاة من مضمون القصة القرآنية في صورة الكهف.

ويقدم كاتب السيناريو أيمن بهجت قمر معالجة جديدة للمسرحية تجعلها أكثر حداثة وتشويقاً وترج بها نحو منطقة أعمال الحركة لتحريها من جمود النص المسرحي، وجذب الجمهور لها والذي يبدي تشوقاً لرؤية معارك تاريخية مصنوعة محلياً.

ويقوم ببطولة «أهل الكهف» الفنان خالد النبوي الذي قام على مواقع التواصل الاجتماعي مؤخراً بحملة دعائية كبيرة، غرضها الترويج للعمل